



خارطة السكّة الروائيّة من مادبا الى بيتا (وادي موسى)

## السكة الرومانية من مادبا الى عقبة<sup>١)</sup>

نبذة للاب لويس جلابرت اليسوي مدرس الكليات القديمة في المكتب الشرقي

ان ما وراء الاردن بلاداً وادوية وقفوراً واسعة تنبسط من الشمال الى الجنوب ممتدة من جهة مدينة مادبا الى خليج عقبة . وكان هناك للرومان في سالف الاعصار ايلة كبيرة قامت مقام دولة النبط تركوا فيها آثاراً عجيبة لم يعرف السائح من امرها سابقاً الا اللذ القليل . وفي القرن التاسع عشر قصد تلك البلاد كثير من العلماء والرحالين فاشادوا الى حسن تلك المآثر وعظمتها وفخامتها لكن مساعيهم ذهبت مراراً ادراج الرياح لما كانوا يلقون في وجههم من المثقات والمنايا بين شذاذ قبائل تلك الامكنة ولثة مياهها ومع هذا كانوا جمعوا من المعلومات والملاحظات والفوائد ما كان يستدعي نظراً عمومياً في تلك البلاد وتصريف احوالها اجمالاً

قبي هذه السنين الاخيرة رأى العالمان الشهيران برنونوف (Brünnow) وفون دومازفسكي (von Domaszewski) الوقت مناسباً لمثل هذا المشروع الخطير لاسياً بعد ان نالت تلك الانحاء الامان التام بظن الحضرة العلية الشاهانبة أيد الله شركتها فعولاً على استقراء تلك الجهات لتدقيق النظر في ما كتبه اسلافهم وتنظيم اعلاماتهم وتتمتة ملحوظاتهم ليضمروا في ذلك تأليفاً جامعاً على طريقة علمية واسلوب قريب النال

وكانت رحلتهم الاولى الى الاصقاع الواقعة ما وراء الاردن في مجز السنة ١٨٩٧ ثم عادوا اليها في السنة التالية بصحبة الاستاذ الملامة ي . اوتنغ (J. Euting) الذي وجههم الى انكسابات النبطية اذ ان له بين العلماء السهم الاوفر في معرفة المخطوطات السامية . وصرف العالم دومازفسكي نظره الى تحديد ذلك الاقليم الروماني القديم بوصف القلاع التي كانت مشيدة للدفاع عنه في خطوطه القصوى شرقاً وجنوباً وكذلك

1) DIE PROVINCA ARABIA beschrieben von Rudolf Ernst Brünnow und Alfred von Domaszewski, I B.: die Roemerstrasse von Mädebä über Petra und Odrub bis el-'Akaba unter mitwirkung von Julius Euting. Strassburg-Trübner, 1904, g. in. - 4° xxiv - 530 abondamment illustré.

نُهِد اليه وصف آثار بَرَا المروفة اليوم بوادي موسى . أما الأستاذ برونوف فإنه وقف نفسه لدرس جغرافية تلك البلاد ورسم خرائطها وتريف خواص تربتها كما أنه بعد رجوع البعثة العلمية الى اوربّة تكهّل براجعة كل ما كُتِب قبلاً بخصوص تلك البلدان وآثارها وهذا تقسيم الشغل بين ثلاثة من العلماء الأثبات نماً سهّل العمل ومكّن اصحابه من وضع تأليف نفيس ظهر آخر أجزاءه الأوّل الذي احببنا وصفه لقراءتنا ليدروا ما حلّوا . الاربيين من الفضل في وصف الآثار الشرقية واستخراج دقائنها الشينة . والكتاب على اربعة اقسام تختلف اتساعاً وخطراً حسب الموصوفات التي حاولوا وصفها

فالقسم الأوّل وضمه الدكتور برونوف وفيه نظر اجمالي غاية في الدقة والوضوح عن جغرافية البلاد الواقعة جنوبي ما وراء الاردن قبلي وادي الزرقاء . وهو يبحث يشل معظم مساحة ذلك الاقليم على عهد الرومان ليس كلّه وبالخصوص لم يتحرّأ ككتبة للبحث عن الحدود التي كانت تفصل عنه اقليم سورية وهو مشكل عظيم لم يفكّوا بعد عدته بل طرأ من الاختلافات على تلك الحدود بتادي الاعصار

والقسم الثاني هو ايضاً من تأليف الدكتور برونوف . مداره على السكك المتعددة التي كانت تمتد بين اورشليم وبلاد النبط جنوبي بحر لوط ومن عن شماله . وقد اطال الشرح في وصف سكة مادبا الى مدينة وادي موسى وهي سكة كان انشأها تربيانوس قيصر وجعل لها اعلماً وانساباً من الحجارة كتب عليها انه فتح هذه الطريق ليوصل بين حدود سورية وشاطئ البحر الاحمر *viam novam a finibus Syriae usque ad mare Rubrum aperuit et stravit* وقد تتبّع علماءنا هذه السكة واتبعوا السكك الثانوية التي كانت تتصل بالسكة العظمى المتددة على طول ذلك الاقليم . وقد در- را في طريقهم كل الآثار التي توقّوا لاكتشافها كاهياكل واطلال التصور وبقايا التحصينات والكنائس القديمة كما انهم جمعوا ما امكنهم من القطع المنقوشة وأعلام الطريق وقيمتها والكتابات اللاتينية واليونانية (١) والنيطيّة بحيث لا تظن انه

(١) اعلم انّ الكتابات اليونانية واللاتينية المدوّنة في هذا الجزء كانت في العال مرروفة قبلاً الا انّ العلماء اخذوا منها رسوماً جديدة اصنعوا بها بعض اغلاط النسخ السابقة . اما الكتابات الجديدة التي لم تُعرف قبلاً فقد وجدنا ان رسم بعضها عملاً والبعض الآخر لم يُحسن شرحه . راجع مثلاً الاعداد الآتية : ص ١٢٠ ثم ص ٢٢١ (ع ٥) ثم ص ٤٥٥ (ع ٢٢٨) ثم ص ٤٦٠ (ع ٢٢٩)

فاتهم شي يُذكر من عاديّات تلك السكة الشهيرة . لاسيّاً انهم اضافوا الى معلوماتهم الخاصّة كل ما سبق اليه اسلافهم من الاوصاف والافادات في القرن التاسع وهذه الشواهد بالانكليزيّة والالمانية والفرنسيّة تضاعف ثمن هذا السفر الجليل ومنها ما ليس تحتها كبير فائدة الا ان الجامع احب اتياته لتلا يحتاج القارئ الى مراجعة كتب متفرقة بعضها غاية في الندرة فيجد في كتاب واحد كل ما يفيدُه عن تلك البلاد من تاريخ وجغرافية وآداب ولامسيّ الآثار ووصف البلدان (١)

امّا القسم الثالث فهو اغزر اقسام الكتاب مادّةً واكبرها حجماً فسنة المسير دومازسكي وصفاً محكماً لمدينة پترا الشهيرة وآثارها الخليّة . وهذا القسم لا يقلُّ عن ٣٠٠ صفحة زيناها كاتبه بنحو ٤٠٠ رسم او صورة بالطرائق التصويريّة المحدثّة البديعة . ومن يطّلع على هذه الاوصاف والتصاویر يتبيّن ما كان لمدينة پترا من الفاخر بحيث عدت في الجنوب كصيفة لتدمر تباريها بضرور مراقبها وتعدّد آثارها . والمباني القديمة التي ترى بقاياها حتى اليوم تبلغ الثين عدداً وصفها المسير دومازسكي في ٢٢٠ صفحة واحصى عاديّاتها الـ ٨٥٠ منها الميا كل الجليّة والدور النخية والنراي الواسعة والقصور والحنّامات والمراسح ممّا يدلُّ على ترقيا في معارج الفلاح في ذلك العهد . واغرب من كل ذلك مدافنها العجيبة بحيث يظنُّ المسافر انها مدينة الموتى . وبعض قبورها على هيات متوّعة غاية في الغرابة مباشرةً بالبرج المربع الرصوص (pylone) ذي الشرف المدرجة الى المبد الايق الزدان بنقوش من اعلاه المنتهي بواجهة مستندة الى عمد . وقد افرد المسير دومازسكي فصلاً لهنسة هذه المدافن ودرس خواصها واشتقاق طرزها بعضها من بعض . وهو لعسري درس خطير الشأن مشحون بالقوائد قلّم سبق الى مثله كاتب . وقد جعله محسوساً ممسوساً بما ادخله فيه من التصاویر المتعدّدة التي تبين ارتباط الاشكال بعضها وترقيا الهندسي مع اشتقاق بعضها من بعض وتأثير كل أمة فيها فتري فيها آثار الهندسة المصريّة واليونانيّة والرومانيّة والسوريّة . وهذا ممّا يكشف النقاب عن احوال مدينة پترا وما طرأ عليها من التقلّبات

وقد اضاف الى هذا الدرس الاثري خلاصة تاريخ تلك المدينة الشهيرة (ص ١٨٨)

(١) وقد سرد الكاتب الفاضل فهرس الرّحل التي صُنفت في هذا الصدد وذلك من الصفحة

٤٨٠ الى ٥١٠ وهذه الرّحل تبلغ ١٢٥ رحلة بين السنة ١٨٠٥ الى ١٩٠٣

(١٩٢) ويُنَّ أن احابا من النبط شيدوها في نواحي القرن السادس قبل المسيح ثم حفلت بالسكان الذين كانوا يتواردون اليها لعبادة الاله ذي شرى (Dusars) وكان له هيكل كبير في جبل هناك عُرف بجبل الملات . اما المدافن فيجبعت في حلف ذلك الجبل تحت نظر الاله

وكانت هذه القبور الاولى على طرز القبور المصرية بمثل شبه البرج المربع ثم ساد التمدن اليوناني بعد الاسكندر فاخذ البناء يزجون الطرز المصري بالطرز اليوناني وكانت المدينة لا تزال في نمو حتى بلغت على عهد السلوقيين اوج عظمتها وصارت مورداً للتجارة ومحطاً لتناول الشرق . ثم ظهرت دولة النبط بعد السلوقيين ودامت نحو قرنين الى أيام الرومان الذين استولوا على بلاد النبط سنة ١٠٦ للمسيح في عهد الامبراطور ترايان . واكثر الباني النخبة في پترا كاهليكل الجيلة والمدافن العجبية ومرسحها الكبير قد شيدت في ذلك الوقت وبالت المدينة من الشهرة ما لا مزيد عليه حتى زاحتها في اواسط القرن الثالث مدينة تدمر في أيام الرباب . ملكها فصار لها النصيب الاوفى والحظ الاعلى واضحت مجازاً لكل قوافل البادية بدلاً من پترا التي نخل عزها شيئاً فشيئاً الى ان عجزها كئانها وتركوها للورق يتعق فوق مدافنها الغربان . ومنذ ذلك الحين لم يعد لتلك الحاضرة رونقها السابق مع ما بقي فيها من الآثار الثبنة بالنف بيانها اما القسم الرابع من هذا التأليف فهو قصير جدا (ص ٢٢٩-٢٢٩) صاحبه السير دومازوكي ايضا وموضوعه اذرح وتنته السكة الرومانية من پترا الى عقبة على ضفة بحر القلزم . واهم ما يتضمن هذا القسم ما كتبه المؤلف في المعكر الروماني الذي ترى آثاره في اذرح . وهذه الصفحات ذات شأن وخطر تدل على براعة كاتبها الذي عُرف قبلاً بكتاباتهِ في الجيوش الرومانية عموماً والمعكرات القديمة خصوصا

عذا يجمل الكتاب الذي نحن بصدده وما وصفنا الأبرض من عد وقطر من بحر فانه حقيقة طرفه في باب لا يتوم مقامه كتاب آخر مع كثرة ما فيه من الرسوم والحراظ الحسنة الصنع (١) بحيث يوازي خزانة كتب واسعة نحض كل عارفي اللغة الالمانية على

(١) قد وقع في اسما الاسكنة والبلدان عدة اغلاط اصلح فسأ كبيراً منها الدكتور  
ويس موبل تزيل كلبتنا سابقاً في الملة الشرقية المسوية Wiener Zeitsch. f. d. Kunde  
d. Morgenlandes, XVIII, 1904 (p. 379-404).

مطالتي وليس في هذا السفر الجليل سوى خلل واحد وهو ثمنه البالغ مئة فرنك . نعم ان هذا قليل بالنسبة الى قناسة الكتاب لكن من شأنه ان يصد كثرين من ورود منا هله الصافية العذبة ومن اقتباس فوائده الجنة وعلى رأينا انه كان الاولي بان يقتصر على قسم من الصور او ترمم بطريقة ابسط فيمكن كثير من العلماء من اجتناء آثاره واجتلاء انواره لاسيما ان بعض هذه الصور المرسومة بالفوتوغراف ليست جلية واضحة فاقاندة منها قايمة وإهالها افضل من اثباتها . هذا ما بين لنا في امر الكتاب شاكرين الشكر الحميم لكل من سعى بنشره

## خبر ايقونة سيدنا العجبية

### لَمَطَات

ليس في الشرق صورة عجيبة تكرر ذكرها في التاريخ كصورة سيدنا وهي قرية شهيرة من اعمال دمشق . وكانت هذه الصورة في كنيسة على اسم السيدة زعم البعض انها من بناء القيصريين في القرن السادس ورجح غيرهم ان اودكسية زوجة الامبراطور ثاودوسوس الثاني واخت القديسة بولخارية شيدتها قبل ذلك في القرن الخامس في جملة ما اقامت من الاديرة والكنائس . وذهب بارونوس المؤرخ وغيره الى ان بناءها كان في السنة ٨٧٠ للميلاد . وعرفت هذه الكنيسة منذ زمن قديم بكنيسة الشاغورة او الشاهورة نظفها شقة من لفظة سريانية (صحناء) معناها الجسي او من (صحناء) بمعنى الكهف دلالة على موقع الكنيسة . وقد زارها الزوار منذ زمن قديم وذكرها الافر جبررد في تاريخ سنة ١١٧٥ (راجع العدد ١١٨٧ من البشير في ٢٤ تموز سنة ١٨٩٥) . وقد اختلفوا ايضاً في تاريخ صورة سيدنا العجبية فارتأى البعض انها احدى الصور التي صورها القديس لوقا واهدمها الامبراطورة اودكسية لما شيدت كنيسة السيدة مع اللدير اللاحق بها . ولا نعلم على اي سند حمل هؤلاء الكنيسة قولهم . وللطيب الذكر الاب بطرس مرتينوس اليسوعي فصل طويل في تاريخ صورة سيدنا وعجايبها ادوجه في كتابه المخطوط عن مزارات البتول في لبنان . وقد ذكر هناك انه طلب بكل حرص تاريخاً عربياً لهذه الصورة اشار اليه عدة كبة منهم العلامة السعادي في مكتبته الشرقية (ج ٣ ص ٢٨٦ في الملائية ع ٧) فلم يجد هذا التاريخ الذي منه قطعة في المكتبة الوايكانية . وقد توقعنا الى وجود هذه الضاللة منذ ثلاث سنوات في مجموع مخطوط حصلنا عليه في مدينة حمص . وهذا المجموع فيه عدة مقالات منها جدلية ومنها تلمية ومنها يامر . ونبر ذلك وهي مخطوط تتمة منها بيد ديمتري استبريا (كذا) اللاذقاني